

مظفر النواب من السجون إلى المنافي والغربة (١٩٣٤ - ٢٠٢٢)

## هزم السجن وعاش بلا جنسية ودمشق مستقرة كل الوطن العربي فأما وطن واحد أو وطن أشلاء

إسماعيل مروة

حين يرحل رجل بمرتبة عليا فإن الحزن يخيم لفقدته، ولكن عندما يرحل مبدع يكون الفقد أكبر، وعندما يرحل مبدع وضمير أمة وشارع فالأمر أكبر وأصعب، حين يرحل الشاعر الكبير مظفر النواب، فإن شاعراً عراقياً مطبوعاً ومجدداً قد رحل، وإن شاعراً أمةياً عن جدارة قد رحل.. فالأهمية في اللقاء الأول والثاني بوجود فكر ماركس، وفي مؤثرها الليبيني الثالث تمثلت بشخصيات فريدة ومنقردة لعل مظفر النواب من أهم ممثلها، وليس الذين تربعوا زعامات الأحزاب الأهمية..

وبقيت صرخته (القدس عروس  
عروبتم) شاهدة عليه



في طواحين الهواء من أجل شعار أطلق ولا أحد يعمل من أجله..؟ الدواب وشعارات الوحدة، والزبد وأولاد الإفك يجعلون الأمر محالاً..

### تجليات الحب

لم يكن مظفر النواب مقتصرًا على الشعر السياسي المباشر وغير المباشر وحسب، بل كان شاعرًا مملوءًا بالشعر والصور المعبرة، ومن ذلك بعض ما قاله في الغزل والبراءة إذ يقول:  
سعدنا زرققة بين الجسدين  
كان عصافير الدنيا  
تتاهب للصحح  
وليس لها هذب  
فيما أخذت حكايات وشايات الليل  
أما كفروا!!

شاركك الخلق!

وما شاركت سوى فيما يفتزل من حسنة

وترتفع السدل  
في هذا المقطع المختار، ومن الصعب اختيار مقاطع من شعر مظفر النواب نقرأ الصورة الغزلية الحسنة المدهشة بجملاتها وعفويتها وطراحتها، إذ يصور التحام جسدي المتحابين بالزرققة، ذلك لأن الحب حالة من الفرح، فالتكامل المشهد وهو يصور عصافير الدنيا تستعد للرحح، فكل ما في مفردات الدنيا يمكن أن تسعد بالفرح والحب.. والمقطع أقرب ما يكون إلى المشهدية، زرققة الذهبين متحامين متحابين وفرح في الدنيا، وشايات من طرف آخر لكن كل ذلك لم يمنع لحظة الحب والاتحام، لترتفع السدل وتحصي صورة الحب التي رسمها الشاعر بشهيدية مميزة من الصعب أن نتلقظ بعين أخرى.

### بين الإنشاء والقراءة

حققت الأسميات الشعرية لمظفر النواب كما حققت لغیره من الشعراء على الدوام، الشهرة والذیوع، فصار مظفر النواب من الشعراء المشاهير يدور اسمه على كل شفة ولسان، بسبب هذه الأسميات، وطفلي الجانب السماعي على الجانب القرأني الطباعي وهو ما أخرج طابعا أشعراه مننياً قياساً إلى بداية مرحلته الشعرية المبكرة التي تعود إلى خمسينيات القرن العشرين أثناء انتظامه في الجامعة والحزب الشيوعي.. ولكن الأسميات مع ما حققت لمظفر النواب من شهرة كان لها مخاطر ومخازير:

١- رست صورة في أذهان المتلقيين، خاصة غير المتأثرين، ولا يخفي استخدامه الموقف والموظف بشكل كبير لمعنى الإفك ودلالته في التاريخ المعرف والإسلامي.. ليدور ضعيفاً مهزولاً.  
أولاً الإفك يبيدوك تصف سفينة عمرك  
ثم يمتون عليك بأن تخدم سيدهم  
أصبحت ثابته  
هدى وإنه مكان البصق.. فابصق، تكي غضباً  
ما أقسى ما وصل إليه.. ابصق.. مكان البصق، والكاء، غضباً، فهل كتب على الأمة كما يرى الشاعر أن تحارب  
لأن الشاعر يفرق في تفاصيل اللهجة العراقية المحببة،

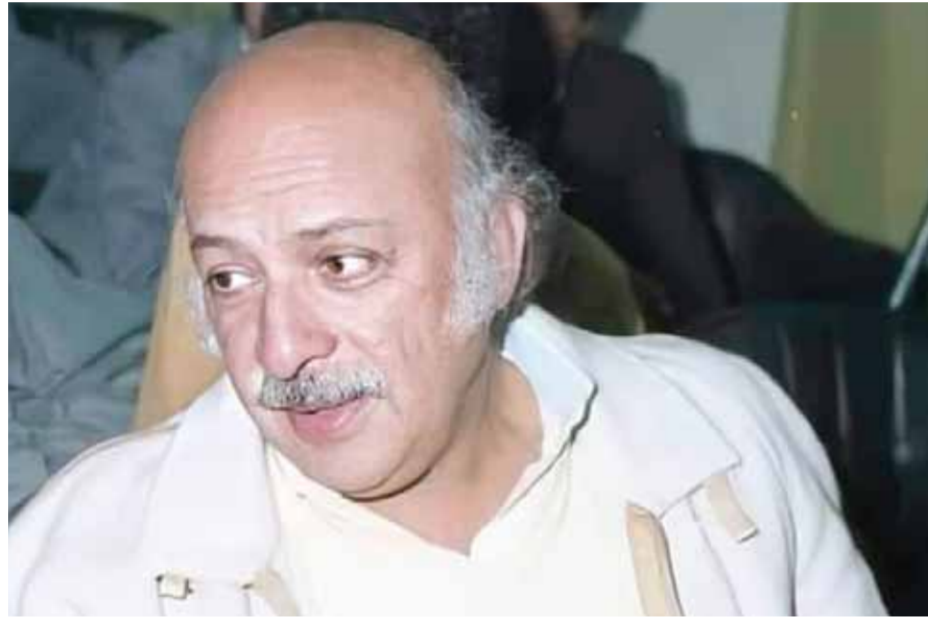
«يا ريل صيح بقهر»: أبو عادل مات

## هل صيح أن فصيح النواب أقوى وأجمل من شعره الشعبي المعنى؟

خشية من انتشارها، وما الذي يعبر عن الافتتاح وتقبل كل الناس أكثر من قوله في قصيدة (بالخمر وبالحزن فؤادي): (أنا هذي طاولتي.. يقرأ من يرغب حسب ثقافته بالشعق، وقد يخطئ... لا أستاء). وما الذي تستطيع أن تقول لأطفال المخيمات مثلاً، أكثر مما قاله في ذات القصيدة: (اسمع طفلاً يتغو في المهجد، أسمعهم يغفوا، يا ريل.. رب يبش له وطن). وما الذي تستطيع قوله لحبيبة، من عركم بأكمله ولم تنتبه إليه، أكثر مما قاله في قصيدة (روحي): (عوان العمر كلين كظن وياك يا تلجي اللي ما وجيت).

ورغم كل ما يتسم به شعر مظفر الغزلي من ألم وحزن، إلا أنه وفي أغلبية قصائده، لم يغلط باب القلب بوجه أحد، لكن عنفوانه لم يسح له أيضاً بتركه مفتوحاً على مصراعيه لمن آذاه وقهره، فاختار أن يتركه موارباً، يستطيع من يريد العودة أن يدخله مجدداً، لكن بشرط أن يبذل جهداً في دفعه، فيكون هذا الجهد هو ما يحفظ ماء الوجه، فهو الذي يقول في قصيدة (متت) بعد أن يستعرض كل ما حل به، وكل الياس الذي أصابه: (غلطتك يد جنت كلشي وما دريت.. غلظتك صلحها.. بعدك انت كلشي)، وهو الذي يختم كل مقطع في قصيدة (زراريز البراري) بـ: (حن وانا حن)، وهو الذي يختم قصيدة (مو حزن) بعد استعراض حالته الكئيبة جداً بـ: (لكن أحبك من جنت يا اسمر جنت).

أبو عادل الحبيب: القدس تتعك، والجولان، وكل مهبور، وفي طريقك إلى الخلود، سترى شاباً منكأ على طيارة شرعية، ينتظر، تعرفه جيداً، هو ذاك الشاب الذي «ما أحست به غير زيوتة ألف قلب على كل غصن بها في الجليل». ولعلمك، بنتا جميعاً منك في دمشق، بلا حزن ولا فرح، يقودنا شبح فضي إلى شبح، ومساء الجمعة، «سوبرناك دهر ماجيت، فيكبنا حتى روزة وياك وشييايبح خظرن من مداعمتا»، و(الريل) الذي قاسك محطات عرك جميعها، صاح بفر صيحة الشوق التي طلبتها منه منذ ستة عقود، لكنت كنت قد زرعتم فينا كرسيد الفارغ في محطات الحزن.. وفورث.



فراس القاضي

فوجئنا، وبكينا، ودُهلنا، وكأنا لا ندري بأنه سيومت، مع أن الرجل أخبرنا منذ خمسين عاماً، بأنه يبشك أن يخلق باب العمر وراءه.. يوشك أن يخلق من وسخ الأيام حذاءه»، ربما لأن قلة قليلة هم الذين يعلمون بأن الشعراء الحقيقيين يشبهون الزمن، والإيشاك عندهم يستغرق عقوداً وربما قرونًا.

كانت جمعة حزينة أخرى، ولا يظنني أحد أجذب أو أعرعق، فاللهيرون شعراء أيضاً ويحبون الشعر، لأنهم يعلمون أنه ليس شطرين أو كلاماً موزوناً أو مقفى فقط، بل كل جميل في هذه الحياة هو إحدى قصائد الكون، قصائد وجدها التواب وصحبها، فبسطوها ونقلوها إلينا بلغة تفهمها قلوبنا قبل عقولنا،

إذ ليس شعراً ذاك الذي تسمعه ولا يشهق قلبك، وبالنسبة لي، لا أحد جعلنا مداومين على الشهيق حتى كانت تتصدع أرواحنا كما فعل التواب.

وهنا لا بد من التبرير لمن يقولون إن فصيح النواب أقوى وأجمل من شعره الشعبي، وذلك لأن صعوبة اللهجة العراقية، وخاصة تلك التي يكتب بها التواب، تمنعهم من فهم معرفة ماذا يقول تماماً، وهذا ما يفهمونه أكثر، جمعياً أكثر، ومؤثراً أكثر، وليس دقيقاً، فقد عبر النواب في شعره الشعبي عن الكثير من الحالات الإنسانية والوجدانية بطريقة لم يرق لها شاعر، لأنه كان يدخل أعماقنا، يلعب على ما يجول فيها، ثم يبتلع بدلاً من ذلك، لذا تكون صدقنا أكثر، وتأترا طولاً، نعم لقد فهم النواب بأكراً لأن الجشش البشري كله قلباً واحداً مقسماً عليهم، فكان الساحر الذي يخفي أربنه في قبعته، ثم يخرج من قبعاتنا له، وخاصة الشعراء منهم.

نحن، وظل يلعب هذه اللعبة حتى آخر كلمة كتبها. كان مظفر الثواب يشع الإحساس بالحالة التي يتحدث عنها لدرجة يظن معها المتلقي أنه من المستحيل أن يقال عنها أكثر من ذلك، وكان هذا يظهر في شعره الشعبي أكثر من الفصيح، ربما لأنه تحدث فيه عن الحب والألم والخذلان والمشاعر بشكل أكبر وأكثر، وترك لنا صوراً تستخدمها، وسينقي لسنين طويلة جداً، فما الذي يعبر عن الخذلان والخيبة والقهر جمعتهما، أكثر من قوله في قصيدته الشهيرة وعنوان ديوانه الوحيد (الريل وحمد): (دك بي كل العمر ما يطفى عطلبي)، والعطاب هو بقايا النار المشتعلة التي يضربها (يدقونها) من يريدون إطفاءها قبل مغارتهم



نجلاء قباتي

ذهنك يعمل بطريقة صحيحة وهذا يجعل دروبك واضحة وعلاقتك مع أصدقاك مثمرة وقد تفاجأ بزيارات غير متوقعة أو أمور عائلية تشغل عن أعمالك فاليوم للحرية، عاطفياً: أنت سعيد بحبة المحيطين بك، يمتحونك ودعمهم ومساعدتهم واليوم للمصالحات أو اللقاءات.

### القوس



أنت سعيد والأمور المالية تزيد من سعادتك فهي جيدة ورغم أنها مربوطة بالعمل الكثير فانت تعمل أكثر من المعتاد لتقضي أكثر من المعتاد والأمور تسير نحو الأفضل ولكن راقب مصروفك وخفف إنفاقك. عاطفياً: أنت تضحك بالحيادية وهذا يجعلك تشعر بالرضا التام عن نفسك.

### الجري



استمد من معنوياتك المرتفعة وحبوبتك الجيدة والطاقة الإيجابية لمعالجة المشاكل الصغيرة قبل أن تتراكم فبالهدوء والصبر ستحقق إنجازات رائعة وتستمر بالفرح العائم. عاطفياً: أنت سعيد بحبة من حوكك وقد تصل إلى أفراح في الأمور الشخصية.

### الرلزل



إذا كنت تعاني من ألم الظهر أو الفقرات فانتبه من البرد متابعة أمورك الشخصية أو العملية بعيداً عن ترك الإهمال أو العمل الكثير لأن الآلام قد تعود لإزعاجك لذلك انتبه لأي إشارة صحية ولا تتهاون في هذا الجانب على الأقل. عاطفياً: انتبه من شحنة التسلط التي تحملها ولا تستعمل هذا الشره من تحب وانتبه لكي لا تأخذ قرارات قاطعة.

### الموت



## برجك اليوم 5/22

### الحمل



سفر أو دعوات تدعى إليها وأنت تحتاج إلى إجراءات حاسمة لتضع النقاط على الحروف في أغلب علاقاتك العاطفية والعائلية فانت في قلب الحدث العائلي تستعجل.. تودع.. تعطي تسعد من حوكك. عاطفياً: أنا أظن أن العائلة حوك هذا اليوم تمتحك المحبة والتعاطف والمساعدات.

### الثور



قد تعاني من تدخل أفراد أكبر منك سناً في عملك وفرصهم أخباراً متعبة أو حزينة لشروطهم وهذا ما لا تحبه وقد تتاجل مشاريع للسفر أو تضايقك الأخبار العملية. عاطفياً: قد تدخل مواجبات أو نقاشات مع أحد الأولاد أو أحد الأشقاء.. حاور من يهيك أمره بهدوء.

### الجوزرة



ركز اليوم على تواصلك وعلاقتك ولا تستعجل فاجوبتك منطوية ومقنعة للمحيط أو لقاءات حاسمة تتراكم في مفكرتك وخاصة مع غرباء فانت تتبتعد عن الضبابية. عاطفياً: أمرت مركز الاهتمام لا لاحظ أن هاتك لا يتوقف عن الرنين في تنسيق أو ترتيب أو دعوات أو تسليمة.

### السرطان



اليوم قد يمتحك المساعدات المالية وقد تفكر بسفر بعيد لكن الحيوية والطاقة التي تقدمها فحوك أصدقاء جدد يسعدونك بمباراتهم الإيجابية ومدحهم لك وإعجابهم بطريقة تصرفك. عاطفياً: ربما يحمل فرح لأحد أهلك أو أفراد عائلتك أو أحد أصدقاك المقربين الذين تقترح لفرحهم.